العقيدة (1)

المحاضرة الأولى

تعريف علم العقيدة

إن الحمد لله نحمده و نستعينُه ونستغفرُه ونستهديه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمد عبد ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

أما بعد:

إن علم العقيدة هو أشرف العلوم الشرعية بعد كتاب الله تبارك وتعالى وذلك لأن كل علم ينال شرفه من شرف المعلوم عنه فما بالنا لو كان الحديث هنا عن رب البرية - تبارك وتعالى - وعن معرفته جل وعلا بأسمائه وصفاته ومعرفة حقه الذي يتوجب على العباد القيام به ، فمن هنا جاء شرف علم العقيدة وهو العلم الذي يجمع فى ثناياه معرفة الخالق تبارك وتعالى

لذلك ينبغي لطالب علم العقيدة أن يقف على عدة مقدمات مهمة قبل دراسة علم العقيدة حتى يمُّن الله عز وجل عليه بفهم صحيح لعقيدة التوحيد كما كان فهمها أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وكذلك السلف الصالح عليه رضوان الله .

ما أهمية تعلُّم العقيدة؟ ولِمَ الحديث عن العقيدة؟ أو بمعنى آخر: لماذا نَدرُس العقيدة؟ وما الأسباب الداعية إلى دراسة العقيدة؟ وما فوائد دراسة العقيدة؟

وعند الإجابة عن هذا السؤال نُدرك الإجابة عن السؤال التالي:

هل الحاجة إلى العقيدة الصحيحة حاجةٌ مُلِحة؟ وهل تعلُّم العقيدة ضروري؟

ثم نختم هذه الكلمة بالكلام عن حُكم تعلُّم العقيدة.

والهدف من الإجابة عن هذه الأسئلة أن نَعلم أهميَّة العقيدة عن طريق السؤال والجواب، فتَثبُت في الذهن.

وبمعرفة أهمية العقيدة يَزداد طالب العلم حرصًا على تعلُّم العقيدة، ويَنشَط لدراستها؛ لأن معرفة الهدف والغاية وأهمية الشيء، يعطي الشيء أهميَّة كبيرة لدى الإنسان، ويَجعله يحرِص عليه، وإذا أردتَ العلم، فاعرِف الأهم؛ إذ البَدء بمعرفته يَختصر لك الطريق.

العقيدة هي أهم علوم الدين:

نحن نَدرس العقيدة؛ لأن العقيدة هي أهم علوم الدين على الإطلاق، فالعقيدة أهمُّ من الأخلاق، والعقيدة أهم من الآداب، والعقيدة أهم من العبادات، والعقيدة أهم من المعاملات؛ إذ هي أوَّل واجبٍ على المكلف، فعند دخول الشخص الإسلامَ يجب عليه معرفة التوحيد قبل تعلُّم العبادات.

وعندما بعَث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذًا إلى نحو أهل اليمن، قال له: ((فليَكن أوَّل ما تدعوهم إليه أن يُوحدوا الله تعالى، فإذا عرَفوا ذلك، فأخْبِرهم أن الله فرَض عليهم خمس صلوات)).

وقد دلَّ الحديث على أهمية التوحيد، الذي هو أهم مبحث في العقيدة، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - أمَر بالدعوة إلى تصحيح العقيدة قبل الدعوة إلى الأعمال، فقد قدَّم التوحيد على الأمر بالصلاة.

وقد مكَث النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكة بعد بَعثته ثلاث عشرة سنة، يدعو الناس إلى تصحيح العقيدة، وإلى التوحيد، ولم تَنزِل عليه الفرائض إلا في المدينة؛ مما يدل على أن أوَّل أوَّليَّات الدَّعوة تعليم العقيدة، وأوَّل ما تقوم الدعوة على تصحيح العقيدة، ولا يطالَبُ الإنسان بالأعمال إلا بعد تصحيح العقيدة؛ لأجل أن تَنبني على العقيدة الصحيحة سائر الأعمال من العبادات والسلوك.

دراسة العقيدة لتصحيح المعتقد الفاسد:

نحن نَدرس العقيدة؛ لنُصحِّح عقيدتنا، وتصحيح المعتقد أمرٌ هام للغاية؛ لأن العقيدة هي الأساس الذي تُبنى عليه أعمال الإنسان، ويتوقَّف قَبول الأعمال الصالحة على سلامة أصول العقيدة من الشِّرك والكفر، فمن يَشوب عقيدتَه كفرٌ أكبر أو شِرك، يكون كافرًا.

والكافر لا تَنفعه أعماله الصالحة يوم القيامة، وإن فعَل الكثير من أعمال البر، فإذا كانت العقيدة غير صحيحة، بطَل ما يتفرَّع عنها من أعمالٍ وأقوال؛ كما قال تعالى: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر: 65].

وقال تعالى:(وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام: 88]؛ أي: لبطَلت أعمالُهم، فدون تصحيح العقيدة لا فائدة من الأعمال.

تعلُّم العقيدة الصحيحة يَعصِم الإنسان من الشِّرك:

نحن نَدرُس العقيدة؛ لأن تعلُّم العقيدة الصحيحة يَعصِم الإنسان من الشرك، ونسيان العقيدة الصحيحة سببٌ للوقوع في الشرك.

وخُلو العقيدة من الشِّرك أو من اعتقادٍ مُكفِّر - فيصَلٌ حاسم بين خلود الإنسان في نار جهنَّمَ والنجاة منها؛ فقد قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء: 48].

العقيدة أشرف العلوم وأعظمها:

نحن ندرس العقيدة؛ لأن العقيدة أشرفُ العلوم وأعظمها وأعلاها؛ لأن شرَفَ العلم وعظَمته بحسب المعلوم، ولا معلوم أكبر من ذات الله تعالى وصفاته، وهو ما يَبحث فيه هذا العلم.

العقيدة الصحيحة تزيد الإنسانَ خشية وبُعدًا عن المعاصي:

نحن ندرُس العقيدة؛ لكي نَزداد خشية من الله، فالعقيدة تحوي التوحيد الذي هو معرفة ما ينبغي لله وما لا ينبغي لله، ومعرفة الله أصلٌ من أصول الخشية، فكلما ازدادَت معرفة العبد بالله، ازداد خشيةً.

نحن ندرُس العقيدة؛ لكي ننجوَ من فِتن الشهوات، ولنَزداد بُعدًا عن ارتكاب المعاصي، فكيف يعصي المسلم الله وهو يَعلم أن الله بصيرٌ به، سميعٌ له، رقيبٌ عليه؟!

العقيدة الصحيحة حماية من الشُّبهات:

نحن ندرُس العقيدة؛ لكي ننجوَ من فِتن الشُّبهات التي تَموج كموج البحر، فالعالم مليء بالمذاهب الباطلة الهدَّامة، والأفكار المنحلة، والمناهج الفاسدة، فلا بدَّ للمسلم أمام هذه المذاهب والأفكار والمناهج، أن يكون لديه علمٌ صحيح بالعقيدة، وأن يكون لديه فَهمٌ صحيح بها؛ حتى يَميز الخبيث من الطيِّب، والضعيف من الصحيح، والباطل من الحق.

لماذا ندرس العقيدة؟

ولتَكُن نيَّتنا عند تعلُّم العقيدة، وأهدافنا عند تعلُّم العقيدة، أو من فوائد تعلُّمنا العقيدة الصحيحة - ما يلي:

1- الاقتداء بالرُّسل في تعليم الناس العقيدةَ قبل العمل؛ قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: 36]، وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25].

2- تَصفية عقيدتنا من شوائب البدع والشِّرك، وسلامةُ العبد من الكفر والشرك أصلُ النجاة من النار، لكن تمام النجاة يكون بالفقه الذي يُصحِّح الأقوال والأعمال وَفْق مراد الله - عز وجل - ومراد رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويُسلم العبادة من الابتداع.

3- الحماية من الوقوع في الشرك ومن الابتداع.

4- العلم بالله الذي يُورث الخشية منه، وعدم الوقوع في معصيته.

5- النجاة من الفِتن؛ فلا نجاةَ من الفتن العقَدية إلا بتعلُّم المُعتقَد الصحيح.

6- محاربة الأفكار والمذاهب العقَدية الباطلة.

7- رفْع الجهل عن أنفسنا.

بطلان الدعوى بأن الإيمان يكفي دون الاهتمام بالعقيدة:

ومن خلال تعلُّمنا أهمية العقيدة، يتبيَّن بُطلان الدعوى بأن الإيمان يكفي دون الاهتمام بالعقيدة؛ حيث إن الإيمان لا يكون إيمانًا إلا إذا صحَّت العقيدة، أمَّا إذا لم تكن العقيدة صحيحة، فليس هناك إيمانٌ ولا دينٌ.

هل تعلُّم العقيدة ضروري؟

ومن خلال تعلُّمنا أهمية العقيدة، يُمكننا أن نُجيب عن سؤال هام، ألا وهو: هل تعلُّم العقيدة ضروري؟

والجواب:

نعم؛ فتعلُّم العقيدة ضرورة من ضرورات الإنسان التي لا غنى له عنها، فالإنسان بحسب فِطرته يَميل إلى اللجوء إلى ربٍّ يَعتقد فيه القوة الخارقة، والسيطرة الكاملة عليه وعلى المخلوقات من حوله، وهذا الاعتقاد يحقِّق له الميل الفطري للتديُّن، ويُشبع نَزعته تلك، والعقيدةُ الإسلامية تقوم على الاعتقاد الصحيح الذي يُوافق تلك الفطرة، ويَحترم عقلَ الإنسان ومكانته في الكون.

أرسل الله الرسل ليدعو الى عبادة الله وحده و توحيده، و كانوا يدعوهم أول ما يدعوهم الى توحيد الله فاذا تم ذلك و وحدوه دعوهم الى باقي العبادات، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذ جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب).

في حديث الرسول ﷺتوجيه الى التدرج في دعوة الناس الى الاسلام، فيبدأ في الأهم فالمهم و لما كان التوحيد هو أصل الاسلام و لا يصح بدونه زكاة و لا صلاة كان هو أول ما يدعى اليه غير المسلم فان اجاب دُعي الى باقي العبادات. و يقول علي بن ابي العز الدمشقي: " ش : اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل . قال تعالى : ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (الأعراف : 59)

. وقال هود عليه السلام لقومه : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره (الأعراف : 65) . وقال صالح عليه السلام لقومه : ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾(الأعراف : 73) . وقال شعيب عليه السلام لقومه : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره (الأعراف : 85) . وقال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾(النحل : 36) . وقال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾(الأنبياء : 25) . وقال ﷺ: أمرت أن أقاتل [ص: 22] الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ﷺ."

شواهد من القرآن[عدل]

قال تعالى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ و قال :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ فهذا ما دعى اليه الرسل جميعًا و بدأوا به رسالاتهم، أن وحدوا الله و اعلموا انه وحده الخالق الرازق المحيي المميت مالك السموات و الارض و وحده المستحق للعبادة دون شريك يعبد معه، و في هذا المعنى يقول الشيخ سفر الحوالي: "فهذا هو ما دعا إليه الأنبياء جميعا، دعوا إلى توحيد الله تبارك

وتعالى حيث افتتحوا دعوتهم واختتموها بذلك. فإن الشرائع والتعبدات جميعاً إنما هي فروع وتوابع للتوحيد .ومعنى كون التوحيد أول دعوة الرسل: هو أن كل نبي إنما يأتي قومه لينذرهم أنه لا إله إلا الله، ويحذرهم من عبادة الطاغوت." [5]

أنواع التوحيد

ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان : توحيد في الإثبات والمعرفة ، وتوحيد في الطلب والقصد .
فالأول : هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ، ليس كمثله شيء في ذلك كله ، كما أخبر به عن نفسه ، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم . وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح ، كما في أول (الحديد) و (طه) وآخر (الحشر) وأول (الم تنزيل) السجدة ، وأول (آل عمران) وسورة (الإخلاص) بكمالها ، وغير ذلك .
والثاني : وهو توحيد الطلب والقصد ، مثل ما تضمنته سورة قل يأيها الكافرون ، و قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم (آل عمران : 64) ، وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها ، وأول سورة (يونس) وأوسطها وآخرها ، وأول سورة (الأعراف) وآخرها ، وجملة سورة (الأنعام) .

<u>والتوحيد أقسام ثلاثة</u>

توحيد الإلهية وتوحيد ربوبية وأسماء وصفات وفي هذا الأخير أدخل الجهم بن صفوان نفي الصفات في مسمى التوحيد! وكلامه واضح الفساد لأنه يستحيل على العاقل أن يؤمن بذاتٍ مجردة عن جميع الصفات أو بعضها حتى!

‘‘‘

اسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد

Khaled